موطأ الإمام مالك

المؤلف:

أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، هو حجة الأمة، إمام دار الهجرة، ولد سنة (٩٣هـ)، ونشأ بالمدينة في بيئة علمية، وأخذ عن شيوخ كثر، من أشهرهم: نافع مولى ابن عمر(ت١١٧هـ)، ومحمد بن المنكدر القرشي التيمي (ت١٣٠هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٥هـ)، وأيوب السختياني(ت١٣١هـ)، وغيرهم.

وروى عنه جماعة من شيوخه منهم: الزهري، ويحيي بن سعيد الأنصاري(ت١٤٤هـ)، وأخذ عنه جماعة من الأئمة من أبرزهم: محمد بن إدريس الشافعي(٢٠٤هـ)، وسفيان الثوري(ت١٦١هـ)، وسفيان بن عيينة(ت١٩٨هـ).

برز في الحديث والفقه وغيرهما، واشتهر بالضبط والاتقان، وصار أحد أشهر أئمة المسلمين، توفي سنة (١٧٩هـ)[١].

سبب تأليف الكتاب:

وقد ذكرت له عدة أسباب من أهمها:

١ – أن الإمام مالك قام بتأليف الموطأ بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، قال القاضي عياض: "وروى أبو مصعب أن أبا جعفر قال لمالك ضع للناس كتاباً أحملهم عليه، فكلمه مالك في ذلك، فقال ضعه فما أحد أعلم منك"[٢].

٢ – أن مالكاً لما رأى موطأ بن الماجشون، أعجب به، قال المفضل بن محمد بن حرب المدني: "أول من عمل كتابا بالمدينة على معنى الموطأ من ذكر ما اجتمع عليه أهل المدينة عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، وعمل ذاك كلاما بغير حديث، قال القاضي: "ورأيت أنا بعض ذلك الكتاب وسمعته ممن حدثني به وفي موطأ ابن وهب منه عن عبد العزيز غير شيء قال فأتى به مالك

(١) انظر: الجرح والتعديل (٢٠٤/٨)، والثقات لا بن حبان (٤٥٩/٧)، وحلية الأولياء (٣١٦/٦)، وترتيب المدارك (١١٧/١)، وتهذيب الكمال (٩١/٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٤٨/٨).

(٢) ترتيب المدارك (٧١/٢).

فنظر فيه فقال ما أحسن ما عمل ولو كنت أنا الذي عملت لبدأت بالآثار ثم شددت ذلك بالكلام، قال ثم إن مالكا عزم على تصنيف الموطأ فصنفه فعمل من كان في المدينة يومئذ من العلماء الموطآت، فقيل لمالك شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله فقال ائتوني بما عملوا فأتي بذلك فنظر فيه ثم نبذه وقال لتعلمن أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله قال فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار وما سمع لشيء منها بعد ذلك"[١].

اسم الكتاب:

سمى مالك كتابه الموطأ لسببين:

١-لمواطأة علماء الحديث له فيه، وموافقتهم عليه، قال الإمام مالك: "عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم وآطأني عليه فسميته: الموطأ"[٢].

٢-معنى الموطأ: المهيأ والممهد والمسهل، ولأن الإمام مالك رحمه الله، وطأه وسهله وقربه ورتبه للناس بالكتابة والتبويب والشرح والتعليق حتى أصبح ما جاء فيه من الأحاديث والأحكام سهل المنال موطأ.

موضع الكتاب:

مكث الأمام مالك في تأليف الموطأ أربعين سنة كاملة ينقحه، ويهذبه، قال صفوان بن عمر بن عبد الواحد: "عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوماً، فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً، قلّ ما تتفقهون فيه"[٣]، وقد انتقاه من مائة ألف حديث كان يرويها، فجمع فيه أحاديث الأحكام وغيرها، ولم يقتصر على الأحاديث المرفوعة، وأدخل فيه آثار الصحابة وفتاوى التابعين، وذكر فيه عمل أهل المدينة، وختمه بذكر رأيه الفقهي[٤].

---

(١) التمهيد (٨٦/١)، وانظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٦٢/١).

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ (٦٢/١)، وتنوير الحوالك شرح موطأ مالك (٧/١).

(٣) الموطأ (٤٩/١)، الاستذكار (١٣/١)، وانظر الحديث والمحدثون (٢٤٩/١).

(٤) تنوير الحوالك (٧).

عدد أحاديثه:

يبلغ عدد أحاديث "الموطأ" – رواية يحيى بن يحي الأندلسي عنه (٨٥٣) حديثاً[١].

وقال أبو بكر الأبهري: "جملة ما في "الموطأ" من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين (١٧٢٠) حديثاً، المسند منها (٦٠٠)، والمرسل (٢٢٢)، والموقوف (٦١٣)، ومن قول التابعين (٢٨٥)"[٢].

وقد يختلف عددها لتباين روايات "الموطأ" عن الإمام مالك؛ ولأنه كان دائم التهذيب والتنقيح لموطأه، إذ مكث في تصنيفه وتهذيبه أربعين عاماً.

شرط مالك في الموطأ:

كان الأمام مالك يتحرى في المتون، وينتقي في الأسانيد، وكان حريص على أصح الأحاديث، وما عليه العمل، قال الإمام الشافعي: "أصح كتاب بعد كتاب الله، موطأ الإمام مالك"[٣]، ولا تعارض بين هذا القول وبين ما اتفق عليه العلماء من أن أصح كتاب بعد كتاب الله "صحيحا البخاري ومسلم"، وذلك لأمور:

١- أن كلام الإمام الشافعي كان قبل وجود "الصحيحين" حيث توفي – رحمه الله – سنة (٢٠٤ هـ) وعمر الإمام البخاري آنذاك لا يتجاوز عشر سنوات، وكان مولد الإمام مسلم سنة (٢٠٤ هـ).

٢- أن جلّ ما فيه مخرج فيهما، وما بقي منه في "السنن" الأربعة، وقد ذهب إلى القول بأن كل ما في "الموطأ" صحيح جمعٌ من الأئمة في المشرق والمغرب، وقد أشار إلى ذلك الحافظ بن الصلاح وابن حجر في آخر باب الصحيح من أنواع علوم الحديث، والراجح لدى الجمهور أن مرتبة "الموطأ" تأتي بعد "الصحيحين"، وقال العراقي: "والحاصل أن أول من صنف الصحيح يصدق على مالك بالنظر إلى المصنفين في عصره، أما الصحيح المعتبر عند المحدثين الموصوف بالاتصال وغير ذلك من الأوصاف فأول من جمعه البخاري ثم مسلم"[٤]، وقال بعض العلماء المتأخرين[١]: «إن ما في الموطأ من

---

(١) تجريد التمهيد لابن عبد البر (٨).

(٢) تنوير الحوالك (٨).

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح (١٤).

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح (٦٢/١).

الأحاديث الموصولة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ صحاح كلها وهي في الصحة كأحاديث الصحيحين، وأما ما فيه من المراسيل والبلاغات وغيرها فيعتبر فيها ما يعتبر في أمثالها مما تحويه الكتب الأخرى وإنما لم يعده بعض العلماء في الكتب الصحاح لكثرة ما فيه من المراسيل والبلاغات والمنقطعات وكثرة الآراء الفقهية فيه لمالك وغيره، وهو ميل إلى القول بالمساواة بينه و بين الصحيحين"، والله تعالى أعلم[٢].

وقد عده بعض العلماء سادس الكتب الستة، منهم رزين ابن معاوية السرقسطي (ت ٥٣٥ هـ) في كتابه "الجمع بين الكتب الستة"، والمجد ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه "جامع الأصول".

منهج الكتاب وطريقة ترتيبه:

رتب الإمام مالك كتابه على الكتب والأبواب الفقهية، فقسمه إلى كتب (الصلاة، الجنائز، الزكاة..... القسامة، والجامع) وقدم على كتاب الطهارة باب وقوت الصلاة، وختم بعض الكتب بباب سماه "الجامع"، ضمنه مسائل متفرقة تتعلق بالكتاب، مثل جامع الجنائز، جامع الصيام، جامع الحج.

وقسم الكتب إلى أبواب تفصيليه حسب الموضوعات التي أوردها، وساق الأحاديث بإسناده ويرتب الأحاديث داخل الباب فيقدم المرفوع المتصل على غيره، وأحيانا يقدم الموقوف أو المرسل، ونحوه[٣].

وعلى كل حال وجود الأحاديث والاثار في الموطأ يكسبها قوة ومكانة لما عرف عن الإمام مالك من شدة التحري لما يذكره في الموطأ.

الصناعة الحديثية والفقهية[٤]:

١-يتحرى الدقة في ألفاظ الحديث، ويتشدد في الرواية بالمعنى.

٢-يرى التسوية بين حدثنا، وأخبرنا.

٣-يعقب على بعض الأحاديث بالشرح والتعليل.

٤-ويختم كثيراً من الأبواب الفقهية برأيه في المسألة.

---

(١) الباعث الحثيث (١٨).

(٢) انظر: أعلام المحدثين (٤٥)، وتدوين السنة النبوية (٩٥).

(٣) موطأ مالك (٩٦٧،٧٥٩،٣١١، ١١٢٩).

(٤) مناهج المحدثين (٣٢).

عناية العلماء بالموطأ:

أولا: شروحه:

شروح الموطأ كثيرة جدا، ومن أهمها:

١-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وهو من أجل شروح الموطأ وأوسعها، ألفه الإمام أبوعمر يوسف بن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ) وهو كتاب في عشرين جزءا لم يصنف أحد مثله قال فيه ابن حزم: "التمهيد لصاحبنا أبي عمر لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه"[١].

٢- الاستذكار وهو لابن عبد البر أيضا، وهو شرح لما في الموطأ من الآثار والفقهيات، فهو مكمل للتمهيد.

٣-المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت٤٧٤هـ)

ثانيا: مختصراته:

وللموطأ مختصرات كثيرة ، فمنها:

١-مختصر الإمام الخطابي أحمد بن البستي (ت ٣٨٨ هـ).

٢-مختصر أبي الوليد سليمان بن خلف الباجى (ت٤٧٤هـ) هوابن رشيق القيرواني (ت ٤٠١هـ).

٤-اختصار الموطأ، لأبي جعفر عبد الرحمن بن أحمد بن القصير الغرناطي (ت٥٧٥هـ).

ثالثا: الترجمة لرجاله[٢]: مما صنف في ذلك:

١-رجال الموطأ لعبد الرحمن بن عبد الله البرقي (ت٢٨٦هـ).

٢-التعريف بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال، لأبي عبد الله بن الحذاء القرطبي (ت٤١٦هـ).

ومنها ترجمة لرجال الموطأ مع رجال كتب أخرى ومنها:

٤-التذكر بمعرفة رجال الكتب العشرة، لأبي المحاسن محمد بن علي الحسيني (ت٧٦٥هـ).

٥-تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي (٢/١٧٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٨٨-٨٥)، ومناهج المحدثين (٣٤).

(ت٨٥٢هـ).

رابعاً: أطرافه[١]: ومما صنف في ذلك:

١-أطراف الموطأ، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ).

٢-الإيماء إلى أطراف كتاب الموطأ، لأبي العباس أحمد بن طاهر الداني (ت٥٣٢هـ).

٣-إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

خامساً: وصل البلاغات في الموطأ[٢]: ومما صنف في ذلك:

١-وصل بلاغات موطأ مالك، لابن عبد البر وهو ضمن كتاب التمهيد.

٢-وصل بلاغات الموطأ لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الصلاح (ت٦٤٣هـ).

سادساً: ما ألف في مسنده[٣]، ومن أشهرها:

١-مسند الموطأ لأبي إسحاق إبراهيم بن نصر السرقسطي (ت٢٨٧هـ).

٢-مسند الموطأ لأبي عمران بن هارون الحمال (ت٢٩٤هـ).

٣-مسند الموطأ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الجوهري (ت٣٨١هـ).

****

المراجع:

- الوجيز في مناهج المحدثين، تأليف: محمد بن عبد الله القنّاص، نشر: مركز تدوين للبحوث والدراسات الحديثية، بريدة، توزيع: دار أطلس الخضراء، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م.

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٥٢)، ومناهج المحدثين (٣٥).

(٢) مناهج المحدثين (٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٨٦).